فَتْح الإله في بيان الحِكمة من مشروعيّة الزكاه

2026-06-26

الحمد لله الذي جعل الزكاة ركنا من أركان الإسلام، وأوجبها في مال الأغنياء طُهرة لهم من البخل والشح والآثام، وتزكية للنفوس وتخفيفا للآلام، ومواساة لذوي الحاجة من الفقراء والأرامل والأيتام، فسبحانه من إله يُضاعف بِرَّه للمحسنين. وتأذّن بالخَلَف والمزيد للمنفقين. إذ قال في سورة سبأ وهو أصدق القائلين: {وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ}، نحمده تعالى على نعمه الجليلة السابغات، ونشكره وقد تأذّن للشاكرين بالمزيد في محكم الآيات، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، البرّ الكريم الجواد، هادي بمنّه إلى سبيل الرشاد، وموَفِّق بكرمهِ إلى طريقِ السداد، القائل في سورة الليل: {فَأَمَّا مَنَ اَعْطِىٰ وَاتَّقِىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنِىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ ۖ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنِىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنِىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرِىٰ}، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده الذي عمّ فضله جميع الوجود. ورسوله الذي لولاه لم يكن لهذا العالم وجود. وصفيّه الذي من شِيَمه الإيثار والجود، وخليله الذي ليس لمكارم أخلاقه حدود، شرع الشرائع وحدّد الحدود، ففرض على المسلم أداء الزكاة دون نكران ولا جحود،

يا أمّة المصطفى يا أشرف الأُممِ * هذا نبيّكُمُ المخصوصُ بالكرمِ

هو الرؤوف الرحيم الطاهرُ الشِّيَمِ * إن شِئتُمُ أن تنالوا رِفْعةً وغِنًى

صلّوا عليه لعلّ اللهَ يرحمُنا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيِّدِنا محمّد. النبي الكريم. وعلى آله ذوي المجادة والتعظيم. وصحابته أهل السيادة والتكريم. صلاة تفتح لنا بها خزائن جودك العميم. وتقدّس بها أرواحنا في حظائر القدس وفراديس النعيم. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. حديثنا هذه الجمعة، في خير يوم طلعت فيه الشمس، عن رُكْن من أركان الإسلام، به تسمو النفس، ويسمو المجتمع. بذلكم الركن تتطهّر النفوس، وتزكوا الأموال، بذلكم الركن يُصبح المجتمع كالجسد الواحد، بذلكم

الركن تتآلف القلوب وتصفوا الأرواح، بذلكم الركن تختفي ملامح الشقاء والفقر والعناء، أظنّ قد عرفتموه، إنه ركن الزكاة، التي هي من مفاخر الإسلام، أيّها المسلمون. إنّ الزكاة ليست صدقةً تطوعيةً فحسب، بل هي ركنٌ عظيم من أركان الإسلام الخمسة، قرنها الله تعالى بالصلاة في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، قال تعالى في سورة البقرة: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ}، وقال سبحانه في سورة البيّنة: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}، وقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال: ((بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ شَهادةِ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ وإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ وصَومِ رمضانَ وحجِّ البيتِ لمنِ استطاعَ إليهِ سبيلًا))، وفي الحديث الصحيح قال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن: ((فإن هم أطاعوك لذلك، فأعْلِمْهُم أنّ الله افترض عليهم في أموالهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وتردّ على فقرائهم))، ولعظم شأنها قاتل الخليفة الراشد سيّدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة، وقال كلمته المشهورة: (واللهِ لأقاتلنّ مَن فرَّق بين الصلاة والزكاة)، أيّها المسلمون. ما هي الزكاة؟ فالزكاة شرعا هي: مقدار مخصوص في مال مخصوص لطائفة مخصوصة. والزكاة الشرعية قد تُسمّى في لغة القرآن والسنّة صدقة، كما قال تعالى في سورة التوبة: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ}، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة، وعمود من أعمدة الدين، التي لا يقام إلا بها، يقاتَل مانعها، ويكفَّر جاحدها، فُرضت في العام الثاني من الهجرة، أيّها المسلم المزكّي الكريم، أتدرى لماذا تزكّي؟ ما هي الأهداف النبيلة والغايات السامية من إخراجك للزكاة؟ فالجواب بحوْل الملك الوهّاب: تزكّي طاعة لله ولرسوله، قال تعالى في سورة البيّنة: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}، تزكّي حتى تكون مسلما، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال: ((بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ شَهادةِ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ وإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ وصَومِ

رمضانَ وحجِّ البيتِ لمنِ استطاعَ إليهِ سبيلًا))، أيّها المسلمون. والزكاة برهان على قوّة الإيمان، أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ. وَالْحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلآنِ (أَوْ تَمْلأُ) مَا بَيْنَ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. وَالصّلاَةُ نُورٌ. والصّدَقَةُ بُرْهَانٌ. وَالصّبْرُ ضِيَاءٌ. وَالْقُرْآنُ حُجّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلّ النّاسِ يَغْدُو. فَبَايِعٌ نَفْسَهُ. فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا))، فالصدقة برهان على صِدْق من قال: أنا مسلم؛ لأنّ حياة الناس مبناها المعاوضة، وأنت تدفع الثمن وتأخذ السلعة عاجلة، فإذا تصدّقتَ بمالك ولم تأخذ عِوَضاً عاجلاً فأين العِوَض؟ المؤمن بالله واليوم الآخِر يتصدّق ويُخفي صدقته؛ لأنه يتعامل مع من لا تخفى عليه خافية، ويدفع القليل والكثير رجاء ما سيكون له يوم يلقى ربه، فهي برهان على إيمانه بالله، وإيمانه باليوم الآخِر، وبأنّ الله سيظله في ظل صدقته يوم القيامة. تزكّي حتى تنال أخوّة عباد الله الموحّدين، قال تعالى في سورة الحجرات: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}، وقال سبحانه في سورة التوبة: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}، أيّها المسلم المزكّي الكريم، تزكّي حتى تطهّر نفسك من البخل والشح، وتزكّي نفسك، قال تعالى في سورة التوبة: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، وفي الحديث الذي رواه أحمد وابن حبان، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلاَ التَّفَحُّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخَلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ شُعْبَةُ فِي حَدِيثِهِ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))، أيّها المسلم المزكّي، تزكّي حتى تنجو من عذاب القبر، ففي الحديث الذي رواه ابن حبان، والحاكم، وفي تهذيب الآثار للطبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إنّ الْمَيّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا؛ كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ

يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْل الخيرات من الصدقة، والصلة، والمعروف، والإحسان إِلَى النَّاسِ، عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ من الصدقة، والصلة، والمعروف، والإحسان إِلَى النَّاسِ، مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُقَالُ لَهُ: إجْلِسْ. فَيَجْلِسُ، وَقَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ، وَقَدْ أُدْنِيَتْ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ. فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبرنا عَمَّا نَسْأَلُكُ عَنْهُ، أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ، أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مُتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَهُ، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وينوَّر لَهُ فِيهِ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ لِمَا بُدِئَ مِنْهُ، فَتُجْعَلُ نَسَمَتُهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ، وَهِيَ: طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}))، أيّها المسلم المزكّي الكريم، تزكّي حتى تكون من أهل الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى في سورة الأعلى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}، تزكّي حتى تُدعى من أبواب الجنّة الثمانية، رَوَى البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دُعِي مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ، وَلِلْجَنَّةِ أَبْوَابٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِي مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِي مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِي مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِي مِنْ بَابِ الصِّيَامِ، بَابِ الرَّيَّانِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا عَلَى مَنْ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ))، وفي الحديث الذي رواه النسائي واللفظ له وابن ماجه وابن خزيمة وابن

حبان في صحيحيهما والحاكم وقال صحيح الإسناد. عَن أبي هُرَيْرَة وَأبي سعيد رَضِي الله عَنْهُمَا قَالَا: ((خَطَبنَا رَسُول الله ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، ثَلَاث مَرَّات، ثمَّ أَكَبَّ فأكبّ كل رجل منّا يبكي، لَا نَدْرِي على مَاذَا حَلَف، ثمَّ رفع رَأسه، وَفِي وَجهه الْبُشْرَى، وَكَانَت أحب إِلَيْنَا من حُمْر النَّعَم، ثمَّ قَالَ: مَا من عبدٍ يُصَلِّي الصَّلَوَات الْخمس، ويصوم رَمَضَان، وَيُخرج الزَّكَاة، ويجتنب الْكَبَائِر السَّبع، إِلَّا فُتحت لَهُ أَبْوَاب الْجنَّة، وَقيل لَهُ ادخل الْجنَّة بِسَلام))، أيّها المسلم المزكّي الكريم، تزكّي حتى تنجو من عذاب يوم القيامة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يَقُولُ: ((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ رَجُلٍ لاَ يُؤَدِّى زَكَاةَ مَالِهِ، إِلاَّ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، يَفِرُّ مِنْهُ وَهُوَ يَتْبَعُهُ، حَتَّى يُطَوِّقَهُ فِى عُنُقِهِ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}))، وعن أبي هريرة رضي عن رسول الله ﷺ قال: ((ما من صاحب كنزٍ لا يُؤدّي زكاة كنزه، إلا جيء به يوم القيامة وبكنزه، فيُحمى عليه صفائح من نار جهنم، فيكوى بها جبينه وجنْبه وظهْره، حتى يحكم الله بين عباده، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدّون، ثم يرى سبيله إمّا إلى الجنّة، وإمّا إلى النار}، تزكّي حتى تحصِّن أموالك: أخرج الطبراني وأبو نعيم في الحلية والخطيب عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنّ النبي ﷺ قال: ((حصّنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وأعدّوا للبلاء الدعاء)) ورواه أبو داود في مراسيله لكنه قال: ((واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع)). أيّها المسلم المزكّي الكريم، تزكّي حتى تكون من الصدّيقين والشهداء، روى البَزّار بإسناد حسن وابن خزيمة في صحيحه وابن حبان، عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: ((جاء رجل من قضاعة إلى رسول الله ﷺ فقال إني شهدتُ أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليّتُ الصلوات الخمس، وصمتُ رمضان وقمته، وآتيْتُ الزكاة، فقال رسول الله ﷺ: من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء))، أيّها المسلمون، إنّ الزكاة ليست نقصاً في المال، وإنما هي زيادة وبركة، وليست عِبئاً على الأغنياء، وإنما هي حق لله وحق للفقراء، وبها يتحقّق التكافل والتراحم والإستقرار في المجتمع، فاتقوا الله عباد الله، وأدّوا زكاة أموالكم طيّبة بها نفوسكم، واشكروا الله على نعمه، واعلموا أنّ

ما عند الله خير وأبقى، واحرصوا على تعلّم أحكام زكاتكم، وحسابها بدقّة، وإخراجها في وقتها، وإيصالها إلى مستحقّيها، فإنّ ذلك من أعظم القربات إلى الله تعالى، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المؤدّين لحقوقه، المحافظين على فرائضه، اللهم اجعلنا من المحافظين على الصلاة، المؤدّين للزكاة، المتّبعين لسنّة نبيّك ﷺ، اللهم بارك لنا في أموالنا وأعمارنا وأولادنا، وأغن فقراء المسلمين، واقض الديْن عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، واجعل هذا البلد وسائر بلاد المسلمين آمنة مطمئنّة رخاءً وسَعَةً يا رب العالمين. اللهم ارزقنا الصِّدق والإخلاص في القول والعمل، واجعل أموالنا عَوْناً لنا على طاعتك. اللهم بارك في أموال المزكّين، واخلف عليهم بخير، واجعل ما أنفقوه ذخراً لهم يوم يلقونك. اللَّهُمَّ إِنّا نسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى. وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى، اللهمَّ إنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتحَوُّلِ عافِيَتِكَ، وفُجاءَةِ نِقْمَتِكَ، وجَمِيعِ سَخَطِكَ، اللهم اجعل الدنيا في أيدينا لا في قلوبنا. ولا تسلبنا من بعد العطاء. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ